

اقرأ النصّ التالي للكاتب (ألكسندر كوبرين) بعنوان (الطبيب الزائع) ثمّ أجِبْ عَنِ الأسئلةِ الْمُتعلِّقةِ بِهِ:

كَانَ الْمَكَانُ هَادِئًا وَمُهَيِّبًا، فَالْأَشْجَارُ وَهِيَ تَتَدَثَّرُ بِأَغْطِيَتِهَا الْبَيْضِ تَغْفُو سَاكِنَةً، تَسْقُطُ مِنْ غُصْنٍ عَالٍ قِطْعَةٌ ثَلْجٍ أَحْيَاءًا، فَتَسْمَعُ لَهَا خَشْخَشَةً وَهِيَ تَنْزِلُ، ثُمَّ تَتَعَلَّقُ بِأَغْصَانٍ أُخْرَى. هَدُوءٌ وَصَمْتُ يَغْشِيَانِ الْحَدِيقَةَ، هَذَا الصَّمْتُ وَالْهُدُوءُ الَّذِي يَحْتَاجُهُ (ميرتسالوف).

سَمِعَ وَقَعَ أَقْدَامٍ قَادِمًا مِنْ نَهَايَةِ الْمَمَرِ، شَاهَدَ فِي الْبَدَايَةِ تَوَهُّجَ جَمْرَةٍ سَيَّجَارَةٍ تَارَةً، وَخَفَوْتَهَا تَارَةً أُخْرَى، ثُمَّ اتَّضَحَ لَهُ ذَلِكَ الْقَادِمُ شَيْئًا فَشَيْئًا، شَيْخٌ مُتَوَسِّطُ الطَّوْلِ يَرْتَدِي قَبْعَةً وَمِعْطَفًا مِنَ الْفَرُورِ. وَصَلَ الْغَرِيبُ بِمَوَازَاةِ الْمَقْعَدِ. التَفَتَ إِلَى (ميرتسالوف) وَقَالَ بَعْدَ أَنْ مَسَّ طَرَفَ قَبْعَتِهِ مُتَسَائِلًا: أَتَسْمَحُ لِي بِالْجُلُوسِ هُنَا؟

اسْتَدَارَ (ميرتسالوف) بِحَدِّهِ مُتَعَمِّدًا، مَوْلِيًا ظَهْرَهُ لِلْغَرِيبِ، وَتَرَحَّزَ إِلَى طَرَفِ الْمَقْعَدِ. انْصَرَمَتْ دَقَائِقُ خَمْسٍ فِي صَمْتٍ مُتَبَاذِلٍ، دَخَنَ الْغَرِيبُ أَثْنَاءَهَا سَيَّجَارَةً. وَمِنْ طَرَفٍ عَيْنِهِ كَانَ يَرِاقِبُ جَارَهُ.

تَكَلَّمَ الْغَرِيبُ فَجَاءَ: يَا لَجَمَالِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ! هَدُوءٌ، مَا أَرُوعَ الشِّتَاءِ الرَّوسِيِّ!

كَانَ صَوْتُهُ رَقِيقًا حَنُونًا، يُنَمُّ عَنْ كِبَرٍ سَنَةٍ. لَكِنْ (ميرتسالوف) وَاصَلَ صَمْتَهُ دُونَ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَيْهِ.

قَالَ الْغَرِيبُ - وَكَانَ يَحْمِلُ فِي يَدِهِ عِدَدًا مِنَ الرُّزْمِ - : اشْتَرَيْتُ هَدَايَا لِأَطْفَالِ أَعْرَفِهِمْ، وَأَثْنَاءَ طَرِيقِي لَمْ أَسْتَطِعْ إِلَّا أَنْ أَقُومَ بِدَوْرَةٍ لَكِي أَمُرَ بِالْحَدِيقَةِ، الْمَكَانُ مُمَيَّزٌ هُنَا.

كَانَ (ميرتسالوف) - بِشَكْلِ عَامٍ - إِنْسَانًا وَدِيعًا وَخَجُولًا، وَلَكِنْ عِنْدَ سَمَاعِهِ كَلِمَاتِ الْغَرِيبِ تَمَلَّكَتْهُ مَوْجَةٌ غَضَبٍ مَفَاجِئَةً، وَصَرَخَ: هَدَايَا! ... هَدَايَا! هَدَايَا لِأَطْفَالِ أَعْرَفِهِمْ! وَأَنَا؟! ... أَنَا عِنْدِي أَيُّهَا السَّيِّدُ الْمُبْجَلُ، فِي اللَّحْظَةِ الْخَاضِرَةِ أَطْفَالٌ يَمُوتُونَ فِي دَارِي مِنَ الْجُوعِ..... هَدَايَا! ... هَدَايَا! وَزَوْجَتِي لَا تَجِدُ حَلِيًّا تَرْضَعُهُ لَطْفَلَتِي طَوَالَ هَذَا الْيَوْمِ... هَدَايَا!

تَوَقَّعَ (ميرتسالوف) أَنْ يَنْهَضَ الشَّيْخُ مِنْ مَكَانِهِ مَغَادِرًا بَعْدَ هَذَا الصَّرَاحِ، لَكِنَّهُ بَدَلًا مِنْ قِيَامِهِ، اسْتَدَارَ نَاحِيَةَ (ميرتسالوف)، وَاقْتَرَبَ بِوَجْهِهِ الْحَازِمَ وَقَوْدِيهِ الْأَشْبِيْنَ، وَقَالَ بِلَهْجَةٍ وَدُودَةٍ جَادَّةٍ: أَنْتَظِرْ ... لَا تَقْلُقْ. أَخْبِرْنِي بِكُلِّ شَيْءٍ بِالتَّرْتِيبِ وَبِاخْتِصَارٍ، فَلَعَلَّنَا نَفَكِّرُ بِحَلٍّ لِهَذِهِ الْمَشْكَلَةِ.

كانت تعابير الثقة والجدية تعلو وجه الشيخ؛ فسرد (ميرتسالوف) للشيخ قصته وهو ثابت النظر إلى الأرض. أخبره كيف طردوه من عمله حين مرض، وكيف آلت حال أسرته حين اجتمع المرض والفقر في بيته.

قال الشيخ: حسناً، من حسن حظك أنك التقيت طبيباً، هيا خذني لمنزلك.

بعد عشر دقائق دخل (ميرتسالوف) سرداب البيت بمعية الطبيب، كانت (يليزا) متمددة على الفراش إلى جانب ابنتها المريضة، وقد دفنت وجهها في الوسادة المتسخة. أما الصبيان فكانا يجلسان في مكانهما منذ ساعات، مُجهدَيْن من الجوع، ومن البكاء لطول غياب أبيهما، كانا يمسحان دموعهما بيديهما المتسختين.

نزغ الطبيب معطفه واقترب من (يليزا) لكنها ظلت ساكنة حتى إنها لم ترفع رأسها لترى الصيف الذي جاء مع زوجها.

قال الطبيب بنبرة حنونة وهو يُربت على كتفها: كفى... كفى يا عزيزتي. انفضي وأريني مريضتك. - تماماً كما في الحديقة قبل قليل - صوت حنون مؤثر يرنُّ في أذن المرأة، ذلك الصوت أجبرها أن تنهض فور سماعها الصوت، ونفذت ما طلبه الطبيب.

خلال دقائق كان الصبي (فولدوف) يغذي نار المدفأة بالحطب الذي اشتراه بروبلا من الشيخ، و(غريشوف) يحرك الطعام في القدر الذي هيأته الأم مما اشتراه زوجها من مال الشيخ. وقد أحضر معه السكر والشاي والخبز من المتجر القريب.

أنهى الطبيب فحص الطفلة، ثم جلس على كرسي راقص، واقتطع بعض الأوراق من دفتر معه، وكتب شيئاً ما على تلك الأوراق، ثم وضعها تحت قذح الشاي، وقال للزوج: اذهبوا بهذه الورقة إلى الصيدلية، واشتروا الدواء، وناولوا الطفلة ملعقة كل ساعتين، واستمروا على الكمادات الدافئة، وفي كل الأحوال اعرضوها على الطبيب (افراسيموف) غداً. إنه حاذق، وأنا سأخبره بالأمر. وداعاً أيها السادة. أتمنى لكم عاماً جديداً أجمل من عامكم المنصرم.

لحق (ميرتسالوف) بالطبيب صائحاً: دكتور.. توقف.. قل لي ما اسمك يا دكتور؟

لكنَّ الطَّيِّبَ أشار إليه أنَّ يَمَكُثَ، فعادَ (ميرتسالوف) إلى بيتهِ ثمَّ تَفَقَّدَ الأوراقَ التي تركها الطَّيِّبُ
العجوز، فإذا هي سَنَدَاتٌ بمبالغٍ مالِيَّةٍ كبيرة!